الجزء الثالث

العرب وبنية العقل الأمريكى

ما بين سيناريوهات القوة وسيناريوهات التدهور والانهيار

سيناريوهات القوة الإيجابية لصالح أمريكا والعالم معاً

عمل الأمريكيون باجتهاد كبير لاكتساب القوة / القدرة Power على كافة الأصعدة المختلفة ولم يدخروا جهداً فى ذلك سواء على صعيد العلم والدراسات أو على صعيد تفعيلها وجعلها واقعاً ممارساً .

يقول عالم الفضاء المصرى الدكتور فاروق البارز أن وكالة الفضاء الأمريكية ناسا NASA قد تم تدشينها لرفع الأساس العلمى وإشاعة الثقافة العلمية على اتساع الولايات المتحدة فى المقام الأول .

فلهذه الوكالة مواقع علمية منتشرة على صعيد جغرافية الولايات المتحدة الأمريكية وبها كافة التخصصات الحيوية لأن مهمتها الأولى رفع المستوى العلمى من خلال خلايا العلماء وما يخرج منها من دراسات وبرامج وتدريب .

ثم مهمتها الثانية كانت غزو الفضاء الخارجى واكتشافه وتحقيق أهداف متعددة من هذا الغزو ، ويذكر هنا أن العديد من الجامعات الأمريكية تدرس كورسات تعرف بالتجاميمكس Tagmemics ، وهو فرع مهم من فروع علم اللغويات الحديث وهو معنى بفك شفرات ورموز لغة جديدة غير معروفة من قبل .. كافتراض لأن يأتى أحد من الكواكب الأخرى بها ويتعين حينذاك التفاعل من خلال هذه اللغة أو تلك ولقد كانت تلك البرامج الكورسات من توصيات ورعاية وكالة الفضاء الأمريكية NASA، وهذا مجرد مثال لمسته بنفسى أثناء فترة ابتعاثى لجامعة جورجتاون وأقدمه هنا ليستشعر القارئ الكريم ما قصدته بمقولة عالمنا الكبير الدكتور فاروق البارز أعلاه .

(١)

نمطان رئيسيان متصارعان لاكتساب القوة..!!

إن تحليل دراسات القوة وكيفية اكتسابها تطبيقاً على الواقع الأمريكى هو أمر خارج نطاق هذه الدراسة ، لكن يمكننا هنا القول بأن هناك نمطين أساسيين لاكتساب القوة وتداعياتهما الرئيسية .

أما النمط الأول فهو ما أورد تسميته بنمط الـ "NASA" فى المثال أعلاه أو بنمط «جون كيندى» حينما قال مقولته الشهيرة إن هذه الأمة ستعمل على وضع رجل فوق القمر وإعادته للأرض سالماً فى غضون عشرة سنوات من اليوم ، معبراً

بذلك على تدشين وتفعيل علم المستقبليات بكل ما يعنيه من إيجابيات عندما يتم وضع سيناريو معيارى (Normative scenario) . لصالح أمريكا والعالم ويتم تنفيذه بكفاءة وجهود علمية لا يمكن إلا أن يحترمها كل أصحاب العقول المنصفة فى هذا العالم . وهذا نمط يستدعى الاحترام وهو مشروع بطبيعة الحال لاكتساب القوة.. قوة التقدم العلمى والنفع العام للبشر وللإنسانية ولأى منافسة شريفة .

أما النمط الثانى لاكتساب وتفعيل القوة الأمريكية ، فهو ذلك النمط الذى يأتى على حساب الآخرين فى هذا العالم والذى ينبنى على مبدأ النفعية الأحادية والميكافيلية السياسية والهيمنة والفرض والإكراه . وشرعية القوة وقانون الغابة والمباراة الصفرية ، فهذا الأمر له تنوعاته وسماته المتعددة بدءاً من التنظير السياسى لمدرسة القوة أو ما تسمى بـ Power politics أو Gunboat Diplomacy أى «دبلوماسية البارجة» ، وأهم منظرى سياسة القوة هذه هو عالم السياسة المعروف Morganthau مورجانثو الذى يدرس كتابه المعروف بعنوان «العلاقات الدولية فى معظم الجامعات الأمريكية» فهو يهودى من أصل ألمانى ويذهب فيه إلى أن المصلحة الوطنية الأمريكية هى المقياس الوحيد لأخلاقيات السياسية «فهو يشجع على استعمال القوة[1] العسكرية وشتى الأساليب دون تردد فى سبيل إحراز تلك المصلحة الوطنية» .

وإذا كانت مدرسة القوة لها جذورها العميقة فى هذا الواقع الأمريكى ، فإنه قد قابلها ونقضها خط أخر كبير من الدراسات والتوجهات فى ذات الواقع العلمى والعملى الأمريكى وتمثلت فى مفهوم مباريات «فلنكسب جميعاً "Win Win" وليس المباراة الصفرية التى تجسدها مدرسة القوة لمورجنثاو ، والتى سميت كذلك بـ "Collective good" أى «الخير للجميع» والمبنى على مراعاة الجانب الإنسانى والأخلاقى ، فهو الأمر الذى تجلى فى دراسات وممارسات عديدة ولعل أوضح نوعية لهذه الدراسات تتمثل فى أدبيات التفاوض الصادرة عن جامعة هارفارد ذات الأنتشار الواسع للغاية فى الأوساط الأكاديمية وهو كتاب «ما بعد ميكيافيليى»[2] والذى يدين التفاوض على أساس المباراة الصفرية لأن آثارها البعيدة ليست فى صالح من يوظفها فى نهاية المطاف .

▪ من مباراة فلنكسب جميعاً إلى مباراة هيمنة صفرية

إنه وبعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ووجود ما يسمى بجماعة القرن الأمريكى الجديد من المحافظين الجدد فى الحكم تعرف العالم على أقصى نظريات القوة تطرفاً كما ورد فى مقولاتهم بخصوص فلسفة ما يسمى بالحرب الجديدة ضد الإرهاب

(١) Morganthou, Hans J. **The Politics Among Nations : The struggle for power and peace,** 5 th ed, Alfred A. Knopf, N.Y. 1973.

(٢) راجع : Fisher, Roger, **Beyond Machiavelli**, penguin books, 1996.

حيث تجسدت المقولة الفلسفية المعروفة «أن الاعتماد على القوة فقط يفسد ، والقوة المطلقة تفسد بلا حدود» "Power corrupts & Absolute power corrupts Absolutely" .

ولقد كان من الملامح الصارخة لتطرف الاعتماد على القوة المسلحة بشكل أساسى كأداة من أدوات الدبلوماسية واضحاً بعد أن تجاوزت الممارسات والقناعات مجرد الرد المشروع والدقيق على إحداث سبتمبر وذلك بتبنى مفاهيم «الاستباقية الوقائية» "Preemtiveness" والمنع "Preventiveness" وأحادية التحرك خارج إطار الشرعية الدولية إذا تطلب الأمر "Uniletralism" . وتم أستحضار الإسلام ليكون العدو الأيدلوجى الأخضر الجديد "Green Peril" وكذلك تم ترويج مفهوم الفاشية الإسلامية "Islamo Fascism" وغير ذلك من قائمة طويلة من المسميات لتأطير العدو الجديد واستهدفه على ساحة جغرافية هائلة عبر العالم[1] .

ولقد كان من ملامح هذا التطرف الصارخ لجماعة المحافظين الجدد هو أستعداداتهم الكبيرة والحث عليها منذ سنوات سابقة إلى أن تملكوا زمام الأمر فبدأ الجانب المعارض لهم داخل الواقع الأمريكى ضعيفاً . وقد وجد صعوبة لكبح جماح هذا الخط المتعسكر . ولقد صدرت عدة أدبيات مستقبلية على درجة كبيرة من الأهمية تبرر للمواطن الأمريكى ولصناع القرار ضرورة السعى الإمبراطورى للحفاظ على القوة الأمريكية كقوة عظمى وحيدة فى «عالم القطب الواحد» .

ولقد تعرضنا لهذا الأمر فى سياقات تفصيلية سابقة أوضحت سعى الفكر المتعسكر الأمريكى لخوض حروب متعددة ليس فقط على صعيد الشرق الأوسط والعالم الإسلامى بل لحروب متعددة لمنع وجود أى قوة ناهضة وبالتالى وجدنا فى كتاب الحروب القادمة لكسبر واينبرجر وبيترشويتزر التبين إلى الأهمية الاستراتيجية للدخول فى حروب فى الشرق الأوسط وضد إيران بعد العراق وحرب مع روسيا ٢٠٠٧ وحرب مع اليابان ٢٠٠٥ ومع كوريا ووصل الأمر إلى حرب مع الاتحاد الأوروبى الحليف المفترض وإذا دعت الضرورة لذلك !![2] .

(١) راجع لكاتب السطور بحث تفصيلى بعنوان : حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب : نحو المشرق العربى لفقه النوازل الدولية ، المكتبة الأكاديمية بالقاهرة ٢٠٠٢ .

(٢) راجع لكاتب السطور كتاب بعنوان «سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية» دار المعراج الدولية للنشر ، الرياض ١٩٩٩ .

(٢)

قراءة فى أدبيات ومؤشرات سيناريو التدهور والإنهيار بعد القوة المطلقة !

إن الصراع القائم بين النمطين الرئيسيين لاكتساب القوة ، المشار إليها أعلاه .. ظل قائماً منذ الحرب العالمية الثانية بشكل يمكن للمحلل الموضوعى ملاحظته ، كما إننا نلاحظ ألوان طيف متعددة فى إطار كل من النمطين . ولعل من الضرورى أن نقدم هنا قراءة فيما نراه على كونه من أهم الأدبيات المعارضة لنمط اكتساب القوة من خلال تبنى المباراة الصفرية .. وسيادة منطق القوة على التفاوض المراعى لأجندات الأخرين وحقوقهم المشروعة والتى تعكس رؤية قائلة بأن هذا النمط يحمل وبشكل مؤكد فى طياته بذور سيناريوهات ووقائع الانهيار الأمريكى وذلك فيما يلى من دراسات ذات طابع مستقبلى وقت كتابتها :

(٣)

دراسة بعنوان الدبلوماسية الأمريكية للسفير الأمريكى جورج كنان عن بذور سيناريو الانهيار[١]

هذه الدراسة لسفير مخضرم فى الخارجية الأمريكية ، خبر موضوعة جيداً وهو خريج من إحدى أعرق الجامعات الأمريكية ، وهى جامعة برنستون ، وعمل فى سفارات بلاده فى ألمانيا وروسيا وبلجراد وتقلد العديد من المهام وتعتبر دراساته وآرائه ذات أهمية لدارسى العلاقات الدولية . ويعد الفصل الثانى من دراسته بعنوان «الدبلوماسية الأمريكية والعسكريون» من أهم ما كتب للتعبير عن صراع النمطين الذى أشرنا إليه ، بل أن كلامه يدخل فى صميم الرؤية المستقبلية الواضحة التى تكشف بوضوح عن طبيعة المأزق الإنفصامى فى الخارج والداخل الأمريكى ومدى الإرتباط العضوى بينهما .

■ **الخطأ البشع في الاعتماد علي قدرة تدمير الآخر**

ولعلنا نتوقف أمام الفقرات التالية من كتابه للتوضيح ، يقول كنان .. **من أخطائنا الفادحة فى فترة ما بعد الحرب أننا اعتمدنا على السلاح النووى أساساً لموقفنا العسكرى وثقتنا بهذا السلام فى ضمان ارتفاع شأننا العسكرى والسياسى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .. فكان أن ارتكبنا الخطأ الفظ بافتراضنا أن فعالية سلاح ما تقاس بما له من قدرة على التدمير وليس تدمير قوات العدو وحسب ، إنما تدمير المدنيين**

(١) Kennan George, **American Diplomacy**, Chicago, Universsity press, 1985.

■ **الأسرة الدولية ومن يزرع فكر سباق التسلح ؟**

وتدمير الاقتصاد المدنى . ولقد نسينا فى هذا الافتراض أن هدف الحرب هو أو ينبغى أن يكون تحقيق الأهداف بأقل قدر من الدمار ، وليس بأكثره . ثم كان من أكبر أخطائنا أننا أهملنا النظر فى الدليل القوى الذى يشير إلى أنه لا يمكن للسلاح النووى إلا أن يكون أداة انتحارية فى نهاية المطاف ليس لقوته التدميرية وأثاره على البيئة بل لأن الاعتماد عليه سيستوجب على الآخرين الحصول عليه وإضافته إلى **ترساناتهم وبذلك فإن مسئوليتنا كبيرة ويقع علينا اللوم للزج بعدد كبير من أعضاء الأسرة الدولية للدخول فى أشد وأخطر سباق فى العالم وهو سباق التسلح**[1] .

■ **اثر النزعة العسكرية المفرطة على الداخل الأمريكى**

يضيف كنان فى دراسته المهمة والتى كتبها منذ أكثر من ١٨ عاماً عن أخطاء النزعة العسكرية المفرطة . بل والمتطرفة كأداة من أدوات إدارة العلاقات الدولية بأن لهذا الأمر مردوده السلبى فى الماضى والمستقبل على ذات الداخل الأمريكى حين يذكر : «أنه من هذه الأخطاء ، على ما أرى ، برزت النزعة العسكرية المتطرفة فى فكرنا وفى حياتنا .. ولقد كان لهذه النزعة العسكرية آثار عميقة لم تقتصر على سياستنا الخارجية فحسب ، وإنما تعدتها لتبلغ مجتمعنا ذاته كذلك وكان من ذلك أنها أدت إلى تشويه اقتصادنا أشد تشويه .. فلقد حملنا على اعتياد أنفاق قدر كبير من دخلنا كل عام على انتاج الأسلحة وتصديرها وإدامة قوات عسكرية ضخمة مترامية – وهذا كله لا يضيف شيئاً إلى طاقة اقتصادنا الانتاجى وإنما يحرمنا من عشرات البلايين التى من الأجدر الاتحاد السوفيتى «المشكلة التى كان يتحدث عنها كنان فى ذلك الوقت» علينا وما هو إلا نتيجة لعادتنا فى إدمان هذا المجمع العسكرى الصناعى[2] .

■ **من الخطر الخارجى إلى الداخلى**

لقد أشار كنان إلى عمق المشكلة المتأصلة فى بنية العقل الأمريكى فيما يتعلق بممارسات المجمع العسكرى السياسى والذى أعزى إليه خلق رابطة معقدة وأره أبلغ الضرر تنشأ بين منتجى السلام وتجارته وأولئك الذين يشترون[3] ويضيف قائلاً «أن نمو هذه النزعة العسكرية على إمتداد السنوات لا يشكل خطراً خارجياً فحسب ، وإنما خطراً داخلياً ينال من هذا البلد ، بما أصبح من إدمان قطاعات كبيرة من مجتمعنا لهذه العادة المؤذية بلغ الأذى ، وبما يكاد لا يرجى لهم شفاء منه .

لقد زاد من سوء هذه المعضلة الإسفاف غير المبرر فى ممارسة هذه العادة ، ثم التنافس بين دوائر الحكم الذى يؤدى إلى ما يؤدِ من تكرار الجهد دون طائل ، وازدواج المعايير التى نعتمدها فى حساب الكلفة وتقدير النتائج كما فيما بين

(١) المرجع السابق ، كنان ، ص ٢٠٣ .
(٢) السابق ، ص ٢٠٤ .
(٣) السابق ، ص ٢٠٤ .

الاقتصاد الحربى ، والاقتصاد المدنى ، كذلك زاد من تفاقمها الافتقار لكل علاقة منطقية بين ما يعتمده مجلس النواب من المعايير فى دراسة الانفاق العسكرى والأنفاق فى الوجوه غير العسكرية[١] .

ويضيف كنان قائلاً : «ويلوح لى أحياناً أن هؤلاء من الذين يبرأون من هذه المؤسسة العسكرية الصناعية الضخمة عرضة لأن يصبحوا بالمعنى المجازى للكلمة ، أمة من المتسولين مثل أولئك البائسين الذين كانوا يلحقون بأذيال الجيوش الأوربية فى القرون السابقة أملاً فى التقاط سقط الطعام والثياب عما كان الجند يخلفونه وراءهم. إن هذه الظاهرة إذ تفسد علينا حياتنا داخلياً تعود من جديد لترتد وتنال من سياستنا الخارجية أيضاً . ذلك إن اقتصاداً حربياً ضخماً كهذا الذى نقوم عليه ليقتضى التبرير الدائم لاستمراره . ولقد صاحب هذا الأمر إن نبهنا بإبراز العوامل العسكرية على حساب العوامل السياسية فيقودنا هذا إلى المبالغة فى اعتماد العوامل العسكرية فى صوغ استجابتنا التى لا ترى إلى تدمير الخصم وشل إرادته تماماً وهذا ما يراه كنان على كونه بمثابة بذور الأنهيار .

من تحليل كينان فى الثمانينات إلى تحليل وقائع أزمة الحرب الجديدة ضد الإرهاب اليوم ومحطة العراق اولا فى بداية الالفية الثالثة !!

فى خضم تعاملنا وتحليلنا لبنك تفاعلات ما سمى بالحرب الجديدة ضد الإرهاب رصدنا فى مقالات سابقة حاولنا فيها رصد حجم الجدل الراهن فى الواقع الأمريكى ليس فقط حول أزمة العراق الأخيرة بل حول عمق الجدل الممتد بين أنصار الاقتصاد المدنى وأنصار عسكرة الاقتصاد الأمريكى . من هنا نربط ما يحدث بين هذا الجدل النوعى فى خضم الحرب ضد الإرهاب وبين ما كان قد ذكره الدبلوماسى الأمريكى كنان الذى قد تحدث فى سياق الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتى عن عمق ذات المشكلة التى رصدنا جذورها فى عمق أزمة الحرب الجديدة ضد الإرهاب اليوم وذلك من خلال مقالات عديدة[٢] .

(٤)

قراءة فى دراسة مستقبلية لوليام ميلز بعنوان : « سيناريو للتدهور فى أمريكا »[٣]

فى هذه الدراسة المستقبلية المهمة لكاتبها وليام ميلز ، وهو أحد خبراء المستقبليات المتخصصين فى طرق البحث السياسى الذين يقومون بإجراء دراساتهم

(١) السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) راجع لكاتب السطور المقالات التالية على سبيل المثال لا الحصر : الباحثون عن الحقيقة داخل أمريكا (١) ، الأهرام ٢٠٠٢/٢/٢٨ ، وكارثر والباحثون عن الحقيقة داخل أمريكا (٢) الأهرام ٢٠٠٣/٣/١٩ وحوار الحضارات لإصدامها ، الأهرام ٢٠٠١/١/١٤ .

(٣) Mills, William, "Ascenario for Deeline in America", **The Futurist**, sept. - October 1996.

من خلال النماذج الحاسوبية التى يمكن تطبيقها فى التحليل الاجتماعى .

يقول ميلز فى مستهل دراسته «إن السيناريو المقدم بها قد يبدو للبعض متشائماً، خاصة وأن يتم التنبؤ به على أساس عدم وقوع كارثة أو إخفاقات مفاجئة أو تهديدات جديدة . وبإيجاز يرى ميلز أن عناصر التدهور التى يرى لها مكامن وبؤر فى داخل الواقع الأمريكى تتمثل فى خواص بعينها إذا لم يتم التعامل معها ستكون نواة إنهيار القوة الأولى فى العالم وهى كما يلى :

٢-١ بقاء عوامل الإهدار بالمعدلات القائمة .

٢-٢ الاستهلاك الأكبر على حساب المدخرات .

٢-٣ بقاء النزعة الفردية الاجتماعية وزيادتها حيث يتأثر الجميع بما يؤدى إلى فشل محاولات الإصلاح الاجتماعى .

٢-٤ قتـــل الدافعية الفردية الابتكارية الحقيقية حيث وجود الاعتبار الأكبر فى منح المنح والدرجات والوظائف والترقيات على أساس أسباب سياسية أكثر منها عن استحقاقات وجدارة ، وزيادة معدل توظيف هذا المعيار فى الحياة الأمريكية "For those who are politically correct" .

٢-٥ شيوع ظاهرة وجود عائل يعتمد عليه عدد كبير من الأفراد وعلى راتبه فى الأسر الأمريكية . مع تدهور فى الرواتب مع وجود المنافسة فى أسواق العمل الداخلية والدولية .

٢-٦ وجود النزعة الانعزالية الأمريكية وزيادتها إلى الحد الذى يجعلها تخرج خارج نطاق منظمة الجات GATT . وتحاول تجاوزها كما ستحاول الخروج خارج نطاق الأمم المتحدة وتهميشها .

٢-٧ هروب المستثمر الأجنبى إلى أسواق أكثر ترحيباً به وحدوث شقاق مع الحلفاء.

٢-٨ هذه العوامل أعلاه ستؤدى إلى استنفاذ الاحتياطيات المالية الشخصية وهنا يبدأ التدهور الحقيقى وتتأثر ميزانيات البنية التحتية وينخفض مستوى التعليم ، وتفلس المدن أكثر فأكثر . ويحدث تغريب أكثر للمواطن الأمريكى . ويهرب السكان ويتم إعادة تقسيم الكعكة وليس تكبيرها .

٢-٩ ترث جنوب شرق آسيا وأوربا الغربية (الاتحاد الأوربى) قيادة العالم بعد التدهور الأمريكى وقيام هذه الدول بتوسعة أسواقها وفرصها بتبنيها للتعدية . وستكون ألمانيا على وجه الخصوص الدينمو المحرك لأوربا بأكملها . كما يرى أن الصين على وجه الخصوص سيكون لها الريادة . ويرى ميلز أن العوامل السابقة والتى

لها جذورها ومؤشراتها وشواهدها على الساحة الأمريكية قد تتفاعل بشكل سريع على غرار ما يحدث فى لعبة الدومينو ، فيحدث تدهور سريع . هذا إن لم يتم تدارك الأمور التى يحذر منها ميلز والذى يرى أن الحل يتمثل أساساً فى التعليم . الذى يعتبره أهم ما يمكن التركيز عليه لتجنب سيناريو الانهيار .

(٥)

قراءة فى « إغلاق العقل الأمريكى »[١]
للفيلسوف الأمريكى المعروف آلان بلوم

Allan Bloom Closing of the American Mind

آثار هذا الكتاب ولا يزال جدلاً ومناقشات كثيرة للغاية فى الواقع الأمريكى رغم صدوره فى عام ١٩٨٧ ويعد من أكثر الكتب رواجاً بين الكتب المهمة الى صدرت فى الواقع الأمريكى بهذا المسمى المباشر حيث يقدم كاتبه نقداً عنيفاً لما أسماه بالأزمة الاجتماعية السياسية فى أمريكا . ويعتبر أن الأزمة هى فى مقامها الأول أزمة فكرية Intellectul crisis ومن يطلع على هذه الدراسة المتعمقة يمكن أن يفهم بعداً مهماً من أبعاد أزمة الفكر الأمريكى اليوم وغداً . ويرى أن عمق الأزمة التى أراد أن يعالجها يعود لما ينتجه نظام التعليم الليبرالى ذاته ففى أول صفحات الكتاب نجد صفحة قبل صفحة العنوان الداخلى لا يوجد بها إلا سؤالاً واحداً مكتوباً بخط كبير وهو :

«كيف أفشل التعليم العالى فى أمريكا فكرة الديمقراطية وكيف أفقر هذا التعليم أرواح الطلاب الخارجين من أطر هذا التعليم ؟»

وعلى مدى هذا الكتاب المهم المؤلف من ٣٩٢ صفحة يجيب بلوم على السؤال المركزى السابق الذى يتضح من صياغته أنه سؤال إخبارى أكثر منه إستفهامى ، حيث يعبر بلوم عن تشاؤمه الشديد من المستقبل الأمريكى فى ظل تعليم لا يخدم المعنى المفترض للديمقراطية كما ينبغى وأن تعنيه الكلمة .

(١) Bloom, Allan, **Closing of The American Mind**, Simon. Schutes Inc. New York, 1987.

(٦)

كتاب استنساخ العقل الأمريكى
« إقتلاع الأخلاقيات » من خلال التعليم
لكاتبته بيفرلى إيكمان[١]

Coloning of the American Mind

فى هذا الكتب المهم تنتقد الكاتبة ذات الخبرة العملية بالعملية التعليمية فى أمريكا ما يحدث اليوم فى التعليم الأساسى بأمريكا حيث تذكر إنه قد بدأت عملية احلاله واستبداله من تعليم يعزز من قيم الحرية والنبوغ الفردى والتحليل الموضوعى الحر وهو الذى أدى إلى أهم إنجازات أمريكا الكبرى إلى تعليم مستجد يعتمد كل المفاهيم الشمولية «وغسل الأدمغة» وزرع قيم جماعية لها مقاصدها السياسية البحتة مع إضعاف واحتواء واستبعاد دور الوالدين ودور الكنيسة كذلك وأى أدوار أخرى سوى المنهج التعليمى المراد زرعه فى أدمغة كل الطلاب فى أمريكا . حتى أنه قد تم تقنين الأمور بحيث لا تهرب المدارس الخاصة من هذه السيطرة ولقد كشفت إيكمان ماهو أخطر من التعليم الشمولى الذى لا يخرج عن نظريات ماركس وكل أعمدة ورموز الفكر الشمولى الاشتراكى بشكل مستجد فقط، بل تشبهه إيكمان بفكرة التعليم النازى الذى كان سائداً فى ألمانيا النازية التى استهدف التعليم بها فى تلك الفترة الهتلرية حيث تم تخريج «نسل نازى معدل» (Mazi - inspired eugenics) . ولقد كشفت إيكمان ماهو أخطر من ذلك حين أوضحت فكرة بيع عقول الأجيال الأمريكية واختراق كل خصوصية لها بعد تمام السيطرة عليها ، حينما أوضحت ما يشير إلى نوع من التجارة السرية بإتاحة البيانات عن الأطفال وذويهم لشركات الإعلانات وبيوت دراسة الأسواق فى إطار ما أسمته على وجه التهكم «بتحالف أنصار الأمية» Illiteracy Cartel أو «بالجماعة المحتكرة للأمية» .

حيث تقول أن قوة هذا التحالف وتحقيق أقدام راسخة له يعتمد على قيام حلف المستفيدين مالياً وسياساً من الجهل الناتج عن تعليم ضعيف مصاب بالتشوهات . حيث يتم استخدام المعلومات عن الطلاب وذويهم ، وبعد ذرع النظام القيمى الذى يريدونه فى أدمغة الطلاب وبيعها لشركات التجارة وإدارة الأعمال لاستهداف زبائنها . وتقول إيكمان أن المصطلح المستخدم هنا هو ما يُعرف بـ «السيكوجرافى» Psychographics أى بالرسم البيانى النفسى الذى يتم فيه تسجيل القوة النسبية

(١) Bevely Eakmn, **Coloning of The American Mind : Eradicting Morality Through Eduction**, Hunting House Publishers, 1998.

لمختلف السجايا أو السمات الشخصية وصفاتها . والسيكوجراف يعتبر طريقة لدراسة البيئة الاجتماعية بالاعتماد على الديموجرافية التى تعنى التعرف على الدخل والجنسية الأصلية واللون والدين والسمات الشخصية . وهذه السمات يمكن من خلالها التنبؤ بالسلوك وتستخدم هذه الطريقة فى مجال إدارة الأعمال وتستخدمها شركات الاعلانات ودارسى الأسواق من باب أن التنبؤ بسلوك المستهلك من الأمور التى يمكن التعرف عليها ويمكن أن يكون ذلك عاملاً مؤثراً فى رواج أو عدم رواج السلع . وتقول إيكمان أن هناك تجميع بين أسلوب السيكوجراف وأساليب السيطرة وتعديل التصرف والسلوك فى جوهر العملية التعليمية اليوم فى أمريكا .

وتنتهى إيكمان وكل من يؤيدها فى مسعاها للكشف عن أزمة التعليم الأساسى فى أمريكا وأهمية التدخل الإيجابى لمنع المزيد من تدهوره إلى أنها وكل من يؤيدها يعتبرون أنفسهم اليوم بمثابة «حركة مقاومة» فى معركة غير متكافئة .

(٧)

أسئلة وسمات أخرى محورية لاستكشاف سيناريو القوة وسيناريو الانهيار

أوضحنا فيما سبق مجموعة مهمة من الدراسات ذات الطبيعية المستقبلية ، وكلها تتعرض بالتحليل إلى ما يمكن فهمه على كونه عوامل لتقييم مؤشرات سيناريوهات «القوة» و «الانهيار» أو «الطفو» و «الغرق» على حد تعبير شاعرنا الكبير أحمد تيمور والملاحظ أن أهم العوامل التى يراها فريق فى الداخل الأمريكى على كونها عوامل القوة وتحقيق الهيمنة أو السيطرة الأمريكية على العالم والاحتفاظ بعالم القطبية الأحادية الراهن يراها فريق آخر على كونها نفس عوامل وبذور التدهور والانهيار ومن الملاحظ أن الدراسات السابقة كلها وضعت إصبعها على التعليم كمصدر من مصادر انهيار القوة الأمريكية أو مصدر لبناء واستمرار القوة . وفيما يلى سنرصد إجابات عن سؤالين آخرين ضروريين لاستكمال الرؤية الشاملة لجوانب بنية العقل الأمريكى فيما يتعلق بسيناريوهات القوة والانهيار وهما :

١ – هل سيحدث فى الولايات المتحدة ذلك التفكك الذى سيؤدى إلى حدوث سيناريو الانهيار كما حدث فى الاتحاد السوفيتى السابق ؟ أو كما حدث فى يوغسلافيا السابقة ؟

٢ – وإذا كانت هناك دراسات مستقبلية قد تنبأت بالفعل بتفكك وانهيار الاتحاد السوفيتى السابق إلا أنها أخفقت فى أن تدرك السرعة الرهيبة لهذا

■ **أسئلة يصعب الإجابة الدقيقة عنها :**

الانهيار[1] ؟ فهل تمر الولايات المتحدة الأمريكية بمثل ما حدث للاتحاد السوفيتى ؟ وهل فى حالة حدوث مثل هذا السيناريو سيتخذ العامل الزمنى فى الانهيار اتجاه المفاجأة أم أن الأمور ستأخذ وقتاً ما ؟ وما قدره ؟ شهور – سنوات أم عقود ؟ أم أن الأمر سيختلف كما يذهب نيكسون فى كتابه بعنوان «انتهزوا الفرصة»[2] وستستمر الامبراطورية الأمريكية إلى فترة طويلة من الزمن. فى الحقيقة أن هذه أسئلة صعبة من حيث الإجابة الدقيقة والمحددة عليها ، ولكن ما سنحاول رصده فى هذه الدراسة الأولية **هو الإشارة إلى كوامن وعوامل سيناريو الانهيار التى إذا ما تفاقمت وصعب أمر السيطرة عليها** ، فإنها ستؤدى حتماً إلى الانهيار . ولعلنا نبدأ بتأمل السؤال الأول التالى ، وما يتضمنه من حقائق وطرائف بشكل موجز :

■ **لقد كان تيتو فى يوغسلافيا وجورباتشوف فى الاتحاد السوفيتى فمن فى امريكا ؟**

هناك مثال طريف بخصوص ما حدث فى يوغسلافيا بعد أن أصابها سيناريو التفتيت والتفكك ، وهنا يذكر أحد جنرالاتها بأن يوغسلافيا تجمع العديد من الأعراق والأجناس والديانات المتعددة وهو يشبهها بزجاجة مليئة بسوائل مختلفة الكثافة كالزيت والمياه وما إلى ذلك ، وأن الرئيس الراحل جوزيف تيتو كان على حنكة ودراية عميقة بالموقف اليوغسلافى برمته فكان يمسك بهذه الزجاجة (أى يوغسلافيا) فيرجها بحرفية واستمرارية إلى أن مات تيتو وترك عملية رج الزجاجة بحرفيته العالية ، فإذن الزجاجة تسكن وتأخذ السؤال التى بها طبقات منعزلة متفككة كل طبقة وشأنها وهذا يشابه ما حدث من تفكك حقيقى على أرض الواقع بذهاب العبقرى الراحل تيتو الذى إفتقدته يوغسلافيا وافتقدت بعده تماسكها ، وعانت ولا تزال من حالة التفكك .

أما فى حالة السيد ميخائيل جورباتشوف فلقد ذكر الكثير عنه وعن إسهاماته المقصودة التآمرية مع الغرب «لإحداث الانهيار والتفكك» أو عن ممارساته غير المقصودة وغير الواعية . كما ذُكر كذلك أن عوامل الانهيار والتفكك كانت أكبر من جورباتشوف أو غيره وأنها حدثت بفعل فاعل رئيسى وأساسى بعيداً عن الخارج وهو النظام الشيوعى الشمولى بكل ممارساته التى هى ضد طبيعة التقدم الذى ينبغى أن يبدأ بحرية الفرد وتحرره فى إطار الحافزية الفردية التى تصب فى قنوات جماعية تؤدى إلى النهضة والتقدم الجماعى والحقيقى للدولة وللشعب ، وإن قتلها وحجبها لجدير بإحداث الانهيار والتفكك لأى مجتمع فى نهاية المطاف .

(١) راجع مقال بعنوان «دراسات الأمن : ماضيها وحاضرها ومستقبلها» ، دراسة أمريكية نشرت بالإنجليزية للباحثة نيتاس كراوفورد بعنوان Once & Future Security : **Security Studies**, vol. 1, No 2 Winter 1991 pp 283-316

(٢) راجع كتاب ريتشارد نيكسون **«إنتهزوا الفرصة : التحدى الأمريكى فى عالم الدولة العظمى الواحدة»** ، ترجمة حاتم غانم ، شركة قيتباى للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ١٩٩٢ .

وهناك الكثير مما قد يقال عن شعور أبناء الاتحاد السوفيتى السابق السلبى للغاية تجاه النظام الشيوعى وتجاه أنماط الحياة التى كان الشعب – ولا يزال – يُعانى من وطأتها وتخلف أسلوبها .

وإذا كان كل من «تيتو» و «جورباتشوف» يمثلان ما أنتجته الظروف والمنطلقات الشيوعية والتى كانت تحمل بذور فنائها فى هذا النظام بشكل أكبر من أى نظام آخر وهو ما ثبت بالدليل القاطع ، فإن ما ساعد على تفكك وانهيار كل من «الاتحاد السوفيتى» السابق ويوغسلافيا السابقة إن الجمهوريات والمقاطعات فى كل من البلدين تتضمن كيانات عرقية ولغوية ودينية أكثر انفصالاً بطبيعتها ، وهذا الأمر ينقلنا إلى الإجابة عن بقية السؤال «فمن فى أمريكا» ؟

وهنا نرى أن صرخة «صدام الحضارات» أو كما أسماها المفكر إدوارد سعيد «بصراع الجهالات» قد تكون الأساس الذى ستبنى عليه خطوة تفكيك أمريكا ذاتها قبل غيرها[1] ، وهنا نلاحظ أن الأعراق والأديان تكاد تختلط فى نسيج واحد عبر الولايات المتحدة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، وهذا يجعل المقارنة من هذه الزاوية متناقضة لما كان كائناً فى كل من الاتحاد السوفيتى السابق ويوغسلافيا السابقة ، كما أن السؤال الأكثر أهمية هو : ما طبيعة النظام الرأسمالى الليبرالى فى أمريكا وما عوامل أو بذور فناء مثل هذا النظام ؟ وما أدوات السيطرة عليها ؟ وما العوامل الخارجة عن السيطرة ؟ أو التى قد تكون ذلك ؟ والإجابة بحاجة إلى تفاصيل كثيرة، ولكن يمكننا عقد مقارنة هامة هنا وهى أنه بموت تيتو لم يتوفر ليوغسلافيا من يستطيع «رج الزجاجة» بحرفية تيتو فانتهت يوغسلافيا السابقة إلى التفكك ، وأن جورباتشوف والنظام الشمولى الشيوعى قد أخفقا فى الاحتفاظ بالاتحاد السوفيتى السابق بعيداً عن سيناريو الانهيار والتفكك السريع للغاية . وما يمكننا تصوره هنا بخصوص صعوبة حصول التفكك أو الانهيار فى الولايات المتحدة الأمريكية بالأسلوب الذى حدث فى كل من الاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا يكمن فى أن الذى يقوم «برج زجاجة الأعراق والأجناس» وخلطة المجتمع الأمريكى ليس شخصاً واحداً فالحاً مثل تيتو فى يوغسلافيا السابقة مثلاً بل الذى يقوم «برج الزجاجة» إذا استخدمنا هذا التعبير للدلالة على الحفاظ على وحدة تماسك عناصر المجتمع وانصهاره فى نسيج واحد هو «النظام» بمعنى الـ System وهذا معنى يتسع لكل أنواع النظام أى نظام الحكم وتداوله – النظام الاقتصادى – والبيع والشراء ونظام العمل فى الجامعات والمؤسسات الحيوية كلها على مختلف الأصعدة إن إحكام وجود نظام يعلو فوق مكانة أى فرد من شأنه أن يحقق التراكم والاستمرارية ومرونة

(١) راجع لكاتب السطور مقالاً بعنوان «إدعاءات هنتينجتون تؤدى إلى تفكيك أمريكا» ، الأهرام ٢٠٠٢/٢/٩ .

الحركة وسرعة الأداء . هذا النظام العام فى المجتمع هو العامل الأقرب الذى يقوم «برج الزجاجة فى الولايات المتحدة» . وباختلال مثل هذا النظام يختل «الرج» وتتحرك الأمور نحو سيناريو الانهيار ومن هنا يكون رج نظام الاقتصاد المدنى والزج بنظام اقتصاد الحرب هو الخلل بعينه الذى سيرج المجتمع والفكرة الأمريكية من أساسها كما أوضحنا فى تغطيتنا لكتاب الدبلوماسية الأمريكية فى مستهل هذه الدراسة ، وبالإضافة لما ذكرناه نحاول هنا أن نرصد بعض المؤشرات الأولفية الأخرى التى قد ترجح سيناريو الانهيار فى الولايات المتحدة الأمريكية إذا ما استمرت هذه المؤشرات فى الخروج عن نطاق السيطرة فى المجتمع الأمريكى وهى كما يلى :

■ **من «بوتقة الانصهار» إلي «طبق السلطة» ومؤشرات نحو التفكك**

لقد أطلق خبراء علماء اللغة الاجتماعى تعبير «بوتقة الانصهار» Melting Pot على المجتمع الأمريكى بوصفه بوتقة لصهر الأجناس المختلفة التى جاءت من جذور ثقافية وعرقية مختلفة من كل مكان فى العالم لتكون ما سُمى بالشعب الأمريكى[1] . ولقد شاع هذا المصطلح لفترة عقود طويلة ، ولكن أُكتشف أن بوتقة الانصهار لم تعد تصهر كما كانت ، كما أُكتشف تمسك أجناس وثقافات عديدة بجذورها وعدم قابليتها للانصهار بل للتعايش والتواجد فقط مع الآخرين فجاء تعبير «طبق السلطة» (Salad Bowl) ليعبر عن هذا الوضع ، وكلنا نعرف أن بوسع أى إنسان ينظر إلى «طبق السلطة» أن يرى عناصره التى يمكن فصلها وأنها لم تنصهر . وأصبح التعبير الأخير هذا الأقرب من تعبير الانصهار الذى سبقه ، كما تشير العديد من المؤشرات إلى بدايات أشكال من التفكك النشط لنسيج المجتمع الأمريكى فما هذه المؤشرات ؟

■ **القنبلة القومية والكلام عن إعلان جمهورية تكساس وجمهوريتي «كاليفورنيا» و «نيوميكسيكو» ! وتدخل «الأمن المركزى الأمريكى» !**

تُعد ولاية تكساس أكبر ولاية فى الجنوب الأمريكى ، وعندما كنت طالباً بجامعة تكساس فى أوستن ١٩٧٩ – ١٩٨١م بدأت أسمع عما يُسمى بمحاولات يقوم بها أهل تكساس للانفصال عن الولايات الـ ٥١ الأخرى ، بحكم أن تكساس من أغنى الولايات وهى تفيد الولايات الأخرى ولا تستفيد منها . وبدأت أعلم أن هناك من الانفصاليين من ينادون بعودة جمهورية تكساس التى كانت جمهورية قائمة بذاتها فى الماضى قبل أن تنضم للكيان الفيدرالى الأمريكى ، كذلك هناك حركة انفصالية فى كل من ولاية كاليفورنيا وولاية نيوميكسيكو ، وهناك من يُنادى بانفصالهما ولقد تدخلت قوات الحرس الوطنى الفيدرالى فى حالات بعينها لقمع مثل هذه الحركات . وهناك عدة عوامل تزيد من هذه النزعات الانفصالية عند إفلاس العديد من الولايات .

(١) بخصوص مصلح «بوتقة الأنصهار» راجع : Glaser & Daniel Patrick, Beyond the Melting Pot **** press. Combridg - Mass achusetts 1963.

ولقد كانت ولاية نيويورك على وشك الإفلاس فى مطلع التسعينات وتدخلت الحكومة الفيدرالية ومنعت هذا الإفلاس من الحدوث ولكن السؤال المطروح إلى متى ستظل الحكومة الفيدرالية قادرة على ميزانيات العديد من الولايات التى لا تتمتع بالاكتفاء الذاتى ؟!

بالإضافة إلى هذا البعد الاقتصادى ، فإن ما يُعرف اليوم «بالقنبلة القومية» سيكون لها تبعات مستقبلية قد تدخل فى عوامل سيناريو الانهيار . ففى كتاب «تجديد أمريكا» للمؤلف المعروف جنجريتش الذى أفاد بأن من المستجدات الحادثة فى المجتمع الأمريكى هو رفض الكثير من أبناء الشعب الأمريكى لكثير من القيم والتقاليد والموسسات التى نشأت عليها الأجيال الأولى وإن هذه القيم من أهم القيم التى ساعدت على الجد والتعاون والإيثار وهو ما عرف بـ «طريقة التوحد» (United way) وقيم العمل الشاق التى تشكل أساس منظومة اجتماعية ساعدت على قوة نسيج وانصهار الأجيال الولى فى المجتمع الأمريكى .

وأن منظومة تلك القيم تعانى اليوم من حالة تحلل وتآكل وحالات صارخة من انفلات السلوكيات فى المجتمع الأمريكى مما زاد من معدلات الجريمة إلى مستويات غير مسبوقة وغير موجودة بهذه المعدلات فى أى مكان آخر فى العالم . كما نتج عن انفلات هذه السلوكيات وتحلل منظومة القيم التى كانت تدعم نسيج المجتمع وجود حالات من الفقر الشديد حيث وصل عدد الذين يسكنون الشوارع بلا مأوى (Homeless People) ما يقرب من عشرين مليوناً من أفراد الشعب . هذا فى الوقت الذى لا تزال الولايات المتحدة تستقبل أعداداً ضخمة من المهاجرين سنوياً من مختلف أنحاء العالم غير الذين يدخلون إلى الولايات المتحدة بطرق غير قانونية أو مشروعة . وهذا العدد الكبير يأتى بخلفيات ثقافية ومفاهيم غير منتمية للواقع الأمريكى المعبر عن بعد «بوتقة الانصهار» التقليدى / القديم والآخذ فى التغيير كما أشرنا إلى ذلك آنفاً . وأن هذه النوعية من المهاجرين الجدد ليس لديها النزوع للاندماج الحقيقى فى المجتمع الأمريكى بل تشعر بالفضل والتفضل منها على المجتمع التى جاءت لتعيش فيه[1] ، مثلها فى ذلك مثل ما يقال ويشاهد عن أساس وجذور النزعة الأنفصالية Segregation movement فى المجتمع الأمريكى كما أشرنا آنفاً خاصة فى ولاية كولاية تكساس التى حدثت بها أحداثاً متعددة شاهدتها بنفسى أثناء وجودى للدراسة فى جامعة تكساس فى الفترة من ١٩٧٩ - ١٩٨١ ، وتابعت بعض الأخبار المتكررة وتدخل الحرس الفيدرالى أثناء فترة رئاسة بوش الإبن

(١) بخصوص طبيعة المناقشات حول طبيعة المهاجرين الجدد لأمريكا وما يثار فى هذا الصدد راجع التحقيق التالى :

Another Great Migration : High U.S Immigration spurs New Debate About Who's Coming To America, **The Futurist**, March, April 2000.

كحاكم لهذه الولاية وفى أواخر التسعينات . ومن الطريف أن أشير إلى أحد الكروت التالية التى تباع فى مكتبات ولاية تكساس والتى يمكن شراؤها بالطبع لإرسال تحيات من تكساس إلى أى مكان آخر . والكارت يوضح ولاية تكساس وهى تظهر بحجم أكبر بكثير من حجمها الطبيعى على خريطة الولايات المتحدة – رغم أنها أكبر الولايات فعلاً فى أمريكا . والكارت يضع اسماً طريفاً لكل ولاية أخرى من الولايات ويكتب على أعلى الكارت «تكساس ومستعمراتها» ! والكارت يشير بطريقة إلى أمر شعبى محسوس وبقوة لدى أبناء تكساس التى كانت فى الماضى «جمهورية تكساس» والذين يشعرون بإحساس التفضل على بقية الولايات الأخرى حيث لدى تكساس أكبر مخزون بترولى وأكبر قدر من الماشية وهى ولاية غنية للغاية تستفيد من ثرواتها الولايات الأخرى أكثر مما تستفيد هى منهم .

■ **جرائم العنف والقتل والعجز عن حماية المجتمع !**

تتصدر الولايات المتحدة الأمريكية قائمة دول العالم فيما يتعلق بمعدلات الجريمة وأحداث العنف والإرهاب ، وتذكر د. باربارا ويلسون أستاذة الإعلام بجامعة سانتا باربارا بولاية كاليفورنيا الأمريكية والتى زارت مصر عام ١٩٩٥ وتحدثت فى عدد من المراكز والمعاهد فى مصر[١] عن التأثيرات النفسية والاجتماعية المختلفة لبرامج العنف ودورها فى زيارة السلوك العدوانى لدى الأطفال فى الولايات المتحدة ، فقالت أن عدد أفعال العنف فى كل ساعة مشاهدة – وحتى يبلغ الطفل الخامسة عشرة – تبلغ ٨٠٠ جريمة وما يزيد على مائة ألف فعل عنيف فى المتوسط وهى نسبة مرتفعة للغاية وغير مسبوقة فى التاريخ ويتعرض لها الطفل الأمريكى من خلال القنوات التليفزيونية العديدة ، ولقد حذر الرئيس الأمريكى كلينتون من خطورة هذا الوضع على المجتمع الأمريكى وذكر أن العنف والمخدرات إذا ما ظلت على مستوياتها الراهنة والمتزايدة فإن هذا الوضع من شأنه إجهاض كل إنجازات المجتمع الأمريكى على مدى العقود السابقة . ولقد تكررت مثل هذه التصريحات عقب كل حادثة يقوم بها أحد المراهقين فى المدارس الأمريكية ممن يقومون بعمليات قتل عشوائى جماعى لزملائهم فى المدارس الأمريكية وتفيد بعض الدراسات المتداولة فى مجال المستقبليات والدراسات الاجتماعية بأن أمريكا تأتى فى المرتبة الأولى فى الدول الغربية فيما يتعلق بجرائم القتل والأشكال الأخرى لجرائم العنف .. وفى هذا الشأن نجد أن بريطانيا فقط تتفوق على أمريكا فى مجالات الجرائم ضد الممتلكات . ويُذكر أن روسيا وفى ظل الفوضى التى سادت البلاد عقب انهيار الاتحاد السوفيتى السابق وتفككه خلال عام ١٩٩٣ م لم تتجاوز ثلث تلك الجرائم التى وقعت فى ولاية نيويورك فقط فى نفس العام . ولا تزال معدلات الجرائم والعنف فى الولايات المتحدة فى حالة ازدياد بالرغم

(١) راجع تحقيقاً نشره الأهرام المسائى لعبد الخالق فاروق بعنوان «العنف المستورد فى علب كرتون .. كيف نتصدى له ؟ ١٩٩٣/١١/١٧ .

من وجود ما يزيد عن المليون ونصف من المجرمين والمعتقلين فى السجون الأمريكية . وهو الوضع الذى يشير إلى عجز أمريكا عن توفير الحماية الأمنية العادية لأفراد المجتمع الأمريكى[1] .

■ «القنبلة العنصرية» والمسكوت عنه فى الخطاب السياسى الأمريكى

أتذكر جيداً أنه وأثناء الحملات الانتخابية بين كل من جورج بوش الرئيس الأمريكى السابق ومرشح الحزب الديموقراطى فى ذلك الوقت بيل كلينتون حاول الأخير اللعب على أوتار اضطهاد السود فى المجتمع الأمريكى وإلقاء اللوم على جورج بوش وسياسته فى أمور علاقة «البيض» «بالسود» وأشار إلى لوس أنجولس الشهير حينذاك ، وهنا لم يكن لجورج بوش أى رد على كلينتون ، بل كان الرد الفورى كما أتذكر من جانب مستشارى الحملة الانتخابية لكلينتون ، حيث قالوا له وبحسم شديد «ابتعد تماماً عن إثارة مثل ذلك الموضوع» فإنه لو تفجرت المناقشات والانتقادات حوله لتفجرت أموراً ينبغى وأن يظللها الصمت وعدم إثارتها بأى شكل من الأشكال ، لأن هذا قد يعصف بالأخضر واليابس فى عرض أمريكا وطولها . إن هذه القصة تفيد بدلالات تفجر قضية العنصرية كواحدة من أخطر عوامل تفجر وانهيار المجتمع الأمريكى إذا ظلت فى حالة التفاقم والتجاهل أو عدم القدرة الراهن على التعامل مع جذورها ، ولعل من أبرز الأحداث فى هذا الصدد ما عرف بظاهرة أو «مسيرة المليون شخص» بقيادة لويس فرقان الذى قال عنها :

«إن مسيرة المليون شخص» تعنى بصورة رئيسية أن الأمريكيين المنحدرين من أصل أفريقى قرروا التعامل مع مشاكل الشعب الأمريكى بصورة واضحة وأفضل من ذى قبل والتعريف بالدور الذى يمكن أن يقدموه لأنفسهم ويقدمه الإسلام كى يتخلص السود ومعهم الشعب الأمريكى من السلوك المدمر للذات الذى تسير البلاد على طريقه[2] ويذكر لويس فرقان أنه ومنذ حركة الحقوق المدنية فى بداية الستينات وحتى اليوم تعرض المجتمع الأمريكى الأسود لانحدار أخلاقى مريع ، إذا أنغمس فى العنف والمخدرات وأشكال عديدة من الجرائم والبطالة ، إلا أنه قد تزامن مع هذه الأوضاع والهبوط الأخلاقى صعود الطبقة الوسطى السوداء من الرجال والنساء المثابرين الذين صعدوا مع قوانين الحقوق المدنية وقوانين الفرص المتكافئة ليصبحوا تنفيذيين وتقنيين وموظفين فيدراليين وأصحاب أعمال وإن هذه الطبقة الجديدة هى الأكثر خوفاً من حيث أن المجتمع الأبيض يمارس عليها تمييزاً عنصرياً يتجلى فى أوقات تناول الطعام أثناء العمل حيث يذهب البيض بعيداً عن السود وأنه تكاد لا تجمعهم مناسبة أو حتى أحياء مشتركة يسكن الأبيض إلى جوار السود أو شئ

(١) راجع مقالاً بصحيفة الجارديان بعنوان «حرب الإمبريالية الثقافية» وترجم فى جريدة البيان الإماراتية ، الأحد ٢٤ أبريل ١٩٩٤ م .

(٢) راجع تحقيقاً لمجلة الوسط بعنوان «فرقان يكشف وجه أمريكا المريضة : نار سوداء فى البيت الأبيض ، العدد ١٩٥ ، ١٩٩٥/١٠/١ م .

مشترك ، وهذه الطبقة هى التى لبت فى الأساس نداء «مسيرة المليون» حتى يتيقظ المجتمع الأمريكى لأوضاع فى حالة التفاقم والتفكك .

وفى حالة من حوار الطرشان سواء كان الحوار من قبل فرقان مع البيض أو كان من مارتن لوثر كينج قبله أو من إليجا محمد أو مالكوم إكس أو قيادات السود على اختلافها منذ تواجد السود إلى جانب البيض فى المجتمع الأمريكى وكذلك من المعاملات البارزة فى قضايا العنصرية الشهيرة قضية الممثل المعروف أوجى سيمبسون الذى أتهم خلال محاكمته بالعنصرية ضد البيض ، وهى القضية التى هزت أرجاء المجتمع الأمريكى . ولقد شعر السود فى أمريكا بالغضب من نشر المؤسسات الأمريكية لإحصائيات وأرقام تدين السود وسلوكياتهم حيث بلغت نسبة البطالة بين السود فى سبتمبر ١١,٣٩٤ ٪ مقابل ٤,٨ ٪ بين البيض . وأن نحو ٦٥ ٪ من العائلات السوداء يرعاها الأب وحده أو الأم وحدها . ويمثل السود ١٢ ٪ من سكان الولايات المتحدة ويشكلون ١٣ ٪ من مدمنى المخدرات ، ٧٤ ٪ من مجرمى المخدرات وأن ٦٠ ٪ من السود ترفض طلباتهم حين يتقدمون للحصول على قروض عقارية أكثر من ٥٦ ٪ من عمليات القتل فى أمريكا يرتكبها سود وأن ٥١ ٪ من ضحايا جرائم القتل سود أيضاً ، أن ٤٠ ٪ من ٣ آلاف المحكوم عليهم بالإعدام فى أمريكا سود[١]

وعن علاقة السود باليهود ، تفيد التطورات الحادثة فى المجتمع الأمريكى بأنه كانت علاقة تعاون فى الماضى وتحولت اليوم إلى علاقة صراعية لأسباب متعددة ، ولقد كان إضراب المدرسين فى مدينة نيويورك (١٩٦٨ - ١٩٦٩) بمثابة وقفة مواجهة قوية بين اتحاد المدرسين الذى تسيطر عليه اليهود والتنظيم الطلابى السود والمنظمات السوداء كما أن ظهور جيس جاكسون وهو يقبل ياسر عرفات فى مستهل الثمانينات قد نفر منه اليهود وزاد الأمر تدهور تصريحات لويس فرقان أثناء مسيرة المليون ضد البيض والكاثوليك واليهود ويرى اليهود أن السود يشكلون تهديداً كبيراً لأوضاع المجتمع الأمريكى ومستقبلهم . وهذا الأمر فى حالة من عدم الاستقرار والتسوية بين الطائفتين .

■ امريكيون يطالبون الامم المتحدة بالتحقيق فى عنصرية بعض المحاكم

لقد ورد فى الأهرام[٢] خبر يفيد بأنه وفى سابقة تعد الأولى من نوعها ، قدم عدد من أبرز دعاة الحقوق المدنية فى الولايات المتحدة طلباً رسمياً إلى لجنة الأمم المتحدة للقضاء على التمييز العنصرى ، يدعون فيه اللجنة إلى التحقيق فى العنصرية التى تخيم على القضاء الجنائى الأمريكى ، خاصة فيما يتعلق بالتميز ضد الزنوج .

(١) السابق .

(٢) راجع خبر ورد بالأهرام بعنوان «أمريكيون يطالبون الأمم المتحدة بالتحقيق فى عنصرية محاكمهم فى ٢٠٠٠/٨/٦ راجع كذلك مقالاً حديثاً للرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر بعنوان «الوجه الجديد والمزعج لأمريكا (بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١) جريدة الواشنطن بوست ٢٠٠٢/٩/٥ ، وراجع كذلك لكاتب السطور مقالاً بعنوان كارتر والباحثون عن الحقيقة ، الأهرام ٢٠٠٣/١/١٩ .

■ **قنبلة المخدرات «النووية»**

من عوامل سيناريو الانهيار فى المجتمع الأمريكى – مثله فى ذلك مثل أى مجتمع آخر ، وفى مجتمعات كثيرة – فى عالم اليوم ، هو المعدل العالمى لإدمان المخدرات الذى أرتبط بثنائية الإيدز والمخدرات معاً ، وتتصور الولايات المتحدة الأمريكية القائمة الدولية لاستهلاك المخدرات ، حيث يصل معدل الاستهلاك إلى ما يقدر بـ ٢٤٠ مليار دولار ، أى ما يزيد عن الدخل القومى لعدد دول من دول العالم الثالث مجتمعة .

هذا بينما تقدم تكاليف علاج المدمنين من المخدرات فى الولايات المتحدة بحوالى ١٠٠ مليون دولار بالإضافة إلى ميزانية تزيد عن المليار دولار يضعها البنتاجون بمكافحة تهريب المخدرات وتجارتها[1] وتحظى قضية إدمان المخدرات بين الشباب والمراهقين من الأمريكيين باهتمام كبير فى الحملات الانتخابية بين المرشحين للرئاسة والأحزاب ومن قبل رجال الكونجرس لما يرون من حجم المخاطر التى تسبب فيها عملية إدمان الشباب الأمريكى على الاقتصاد والمجتمع والمجتمع الأمريكى مما قد يؤدى بالعصف به إذا ما أستمرت معدلات الإدمان ومعدلات الأموال على المخدرات بشكلها الحالى والمتصاعد .

■ **طائرات الكوكايين ومثال يعود لأزمة (اكيلي لورد)**

لا أزل أتذكر من الحملات التى يشنها السياسيون الأمريكيون على كل من يقصر فى مواجهة قنبلة المخدرات وآثارها المدمرة على المجتمع الأمريكى ، هذا المشهد الذى يظهر فيه أحد المنتقدين للسياسة الحكومة الأمريكية فيقول – بينما تظهر على شاشات التلفاز الأمريكى طائرة محملة بالكوكايين تم إجبارها على الهبوط حين طارت متسللة الحدود الجنوبية إلى داخل الولايات المتحدة ، إن هذه البلاد (أى أمريكا) لا تستطيع إجبار مئات الطائرات الأخرى المحملة بالكوكايين والمخدرات على الهبوط ومصادرتها ، حيث تصل سمومها إلى الشباب والمراهقين الأمريكيين ، بينما تستطيع إدارة هذه البلاد (وكان ذلك وقت رونالد ريجان) بأن تحلق طائرات أسطولها السادس لتجبر طائرة مدينة لدولة صديقة على الهبوط والتحقيق مع قائدها لأسباب غير مبررة قانونياً وأخلاقياً وسياسياً ، وكان يشير إلى اعتراض طائرات الأسطول السادس للطائرات المدنية المصرية التى كانت تقل الفلسطينيين الذين قاموا بعملية اكيلى لورا المعروفة وحاولت مصر نقلهم إلى تونس لكى يحاكمهم الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات الذى كان يقيم حينذاك فى تونس . وكانت الرسالة الإعلامية الواضحة هى الفشل الذريع للإدارة الأمريكية للتعامل مع المشكلة الحقيقية التى كانت ولا تزال تجابهها والمتمثلة فى تفاقم التأثير المدمر للمخدرات على المجتمع الأمريكى برمتها ، بينما تحقق النجاح السهل وغير المبرر أخلاقياً أو قانونياً أو سياسياً كحادث إنزال الطائرة المصرية المفترض أنها «صديقة» !!

(١) راجع تحقيقاً بعنوان «دولة المخدرات العظمى» بالبيان الإماراتية ١٩٩٤/٨/١٣ .

لقد سميت عملية تهريب المخدرات من دول أمريكا الجنوبية إلى داخل الولايات المتحدة الأمريكية بأنها «قنبلة أمريكا الجنوبية النووية ضد الولايات المتحدة ..» ولكنها قنبلة نووية لا تستخدم فى الردع فقط كمعظم القنابل النووية الموجود فى ترسانات الأسلحة التى تمتلكها بعض الدول ، بل أنها تستخدم بالفعل فى الفتك . فتك نسيج المجتمع الأمريكى على جرعات متتالية . ولا يبدو أن الأمر بأبعاده المختلفة تحت السيطرة التامة فى هذا الصدد .

■ **الأصولية الاقتصادية الجديدة !!**

عندما أندلعت مظاهرات عارمة فى مدينة واشنطن سياتل ضد مؤتمر منظمة الجات فى نوفمبر ١٩٩٩ ، شاهد العالم قوات الحرس الفيدرالى ، وكأنها قوات الأمن المركزى فى دول العالم الثالث فضرب المتظاهرين بلا هوادة وتم إيقاف المؤتمر نظراً لعدم تمكن بعض وفود المؤتمر من الوصول إلى مقره نظراً لهذه الاضطرابات غير المسبوقة فى تاريخ أمريكا . ثم تبع هذا هذا المشهد مشهد اضطرابات مماثل بحذافيره فى مطلع عام ٢٠٠٠ أمام مقر البنك الدولى بواشنطن حيث أشتبك المتظاهرون وأغلبهم من الشباب الأمريكى مع «قوات الأمن المركزى الأمريكية» وكان ذلك فى وقت أنعقاد قمة الدول السبع الكبرى وقد تم تكسير المداخل الزجاجية للبنك الدولى وعدد كبير من واجهات المحال والسيارات ، كأى مكان فى العالم الثالث والغريب حقاً أن شرح الكثير من فضائيات ووسائل الإعلام العربية كان ساذجاً وأفاد بأن هذه هى ثورة الشباب الأمريكى لغياب العدالة بين أغنياء العالم وفقرائه ، ولقد تابعت هذه التحليلات بأن هامش ، خاصة وأننى كنت قد حضرت مؤتمر جمعية مستقبليات العالم فى صيف ١٩٩٨ وثارت العديد من المناقشات العلمية حول تأثيرات الجات وانهمكت حينذاك فى قراءة العديد من الأبحاث والدراسات والكتب ووجدت أن أبناء الطبقة الوسطى فى المجتمع الأمريكى يتعرضون وسيتعرضون إلى أوضاع اقتصادية مجحفة للغاية وستزداد إجحافاً فى المستقبل بفعل قرارات العولمة التى تتصدرها دوائر بعينها تمثل إدارات الشركات المتعددة للجنسية بها . Trans National وأن هذه الأخيرة هى التى تحرك قوانين العولمة أساساً لمصلحة القلة القليلة جداً فى هذا العالم ، وأن المواطن الأمريكى الذى يدير الأعمال الصغيرة والمتوسطة سيتلاشى أمام طوفان واستغلال الشركات المتعددة الجنسية ، ولذلك لقد كانت مظاهرات واشنطن سياتل وبعدها واشنطن العاصمة من قبل الشباب وممثلى الطبقة الوسطى فى المجتمع الأمريكى ليست من منطلق رفاهية الشهامة والدفاع عن حقوق الإنسان فى العالم وعبور الفجوة بين الأغنياء والفقراء على مستوى الكوكب . بل كانت الدوافع واضحة من أجل لقمة عيش المواطن الأمريكى العادى الذى تحرك من منطلق «عض قلبى ولا تعض رغيفى !» إن هناك العديد من الدراسات التى كشفت عن وجود مؤامرة تحاك ضد المواطن الأمريكى العادى ، ومن الأمور الطريفة أن أحد رجال الكونجرس الأمريكيين سأل أعضاء الكونجرس كم منكم وبأمانه قد قرأ أتفاقية

الجات الأخيرة قبل التوقيع عليها ؟ وأضاف أتحدى أن يكون أحد منكم ممن وقعوا بالموافقة عليها قد قرأها بعناية ، لأن بها ما يتضمن كل مصالح القلة الغنية من أصحاب الشركات عابرة الجنسية ، وأن بها الكثير مما يتعارض مع مصلحة المواطن الأمريكى العادى بل ما يتعارض مع القانون الفيدرالى الأمريكى ، وهو الأمر الذى لم يتضمن ما اقترحه الرئيس السابق جورج بوش الذى رأى أن تكون مسودة اتفاقية الجات غير متعارضة مع القانون الفيدرالى الأمريكى فى حالات بعينها على وجه الخصوص .

والخلاصة هنا أن ما سمى فى الغرب ذاته «بالأصولية الاقتصادية» التى من شأنها سحق اقتصاديات المواطن الأمريكى العادى على المدى البعيد لمن المؤثرات الداعمة لعوامل سيناريو الانهيار إذا ما لم يعالج هذا الأمر .

■ **الاتجاه ضد الديمقراطية**

تفيد الدراسات المتزايدة بالإضافة إلى تحليل الواقع الأمريكى المعايش إلى أن الولايات المتحدة وفى ظل عصر العولمة تتجه نحو تقليص الهامش الديمقراطى لديها بفعل عوامل عديدة . فمن المعروف أن الديمقراطية وحرية التعبير فى أمريكا وفى غيرها من دول العالم من الأمور الحيوية لضمان «النظام» أى ضمان نظام حركة المجتمع وتفعيل طاقات وزيادة معدلات أدائه .

فالديمقراطية وحرية الرأى ليست رفاهية أو شياكة ولكنها من صميم الحفاظ على النظام وازدهاره وتقدمه وبالتالى هى ضرورة أساسية كالماء والهواء «للنظام العام» ولكن مع وجود آليات خفية للسيطرة على بوتقة الانصهار وحركة المجتمع واتجاهاته الاستراتيجية العامة ، ولكن ومع ظواهر التفكك البادية وبوتقة الانصهار التى لم تعد تصهر كما ينبغى ووجود الكثير من المستجدات على الساحة الأمريكية ، بدأت جموع الشعب الأمريكى تدرك آليات احتكار وسائل الإعلام وتوجيهها جهة شمولية فى كثير من المجالات والموضوعات ، فلم تعد تقدم سوقاً حقيقية للأفكار ولا تقدم الحقائق كما هى ، بل هناك قدر كبير من الأكاذيب التى توجه للرأى العام وتزرع فى العملية التعليمية والإعلامية[1] فهناك مثلاً الآلاف الذين يدركون أن خزانات المياه الجوفية فى أماكن حيوية فى القارة الأمريكية أصبحت مشبعة بالإشعاعات النووية ، وهناك مئات بل آلاف الضحايا ولكن على من تدركه هذه الإشعاعات أن ينتقل من مكانها إلى مكان أكثر أمناً ولكن لا توجد فرصة لأحد أن يعلن عن هذا الوضع فقط وغيره من العديد من المحاذير الأخذة فى الأزدياد . والعديد من الإجراءات المتزايدة التى تقلل بلاشك من الهامش الديمقراطى الأمريكى الذى يعتبر من أوسع

(١) راجع المرجع التالى : بنيت ، جيمس ، ورينزو ، الأكاذيب الرسمية : كيف تضللنا واشنطن ؟ ترجمة محمود برهوم ونقولا نصر ترجمة محمود برهان ، دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان الأردن ١٩٩٣ .

الهوامش الديمقراطية فى العالم بلاشك فمثلاً أثار التقرير الأخير الصادر عن اللجنة الوطنية حول الإرهاب تساؤلات عديدة حول تقييد الحريات والحقوق المدنية فى أمريكا ، حيث من المقرر أن تتأثر حركة «الجمعيات الأهلية» وتمويلها فى الولايات المتحدة تحت بند مكافحة الإرهاب ومراقبة حركة المشتبه فيهم أو فى المنابر والمواقع التى قد يستخدمونها[1] .

ولقد كتب الكثيرون عن تقلص الهامش الديمقراطى الأمريكى وتوقعوا المزيد من التقلص والتقليص الكبير كما ورد فى كتاب المفكر الشهير وعالم اللغويات نوم تشومسكى بعنوان «صناعة الرأى العام والاقتصاد السياسى لوسائل الإعلام»[2] . ولقد أفاد تشومسكى أن عامل تقلص وتقليص الهامش الديمقراطى فى المجتمع الأمريكى سيكون له عواقبه الوخيمة ولاشك أن ذلك سيؤدى إلى الانفجار والتفكك ، حيث أن السيطرة الشمولية لم تثبت أنها قد نجحت ، لا فى السيطرة ولا فى تحقيق النماء والازدهار . وإنما نجحت فى تحقيق عوامل الكبت والكراهية المولدة للانفجار والتفكك وهذا درس التاريخ لمن يعى ويتعظ بتواضع .

ولقد ثبت هذا بالدليل القاطع فى حالة الاتحاد السوفيتى وتفكك ما كان يعرف بتكتل دول المعسكر الشرقى بما أن مجال المستقبليات قد سمى ضمن المسميات المتعددة له بالإنجليزية بتعبير Futury على وزن الكلمة الإنجليزية History أى التاريخ كامتداد للمستقبل الذى لا يمكن تجاهله .

فلقد حاولنا من خلال هذا الجزء الثالث من الدراسة أن نرصد عدة أدبيات من أهم ما رأيناه فى بنك ضخم للبيانات من الثمانينات إلى اليوم منتهجى فى ذلك أسلوب تحليل الخاصية Trend Analysis واستخراج الخاصية Trend Extrapolation بوضع يدنا على تلك الأدبيات المحورية التى تمكننا من التماس أهم خيوط التحليل المؤدى لفهم عمق الأزمة الراهنة التى تعانى منها أمريكا ومعها العالم كله والعالم العربى الإسلامى على وجه الخصوص .. ونرى أن مشاركة العالم كله فى إدارة هذه الأزمة واجبة لآثارها على الجميع يهدف دعم الفكر الدبلوماسى ولغة الحوار الإيجابى لايجاد رأى عام عالمى ويعترض على إدارة العلاقات الدولية بأساليب العسكرة والهيمنة التى لن تحقق لقصار نظر «القلة الاستراتيجية» أهدافهم فى نهاية المطاف بل قد تؤدى إلى كارثة للجميع فى نهاية الأمر . والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

(١) راجع تحقيقاً بجريدة الحياة الـ ** بعنوان «بين التصدى للإرهاب وتفويض الحقوق المدنية فى أمريكا» حسن منيمنة ٢٠٠٠/٧/٢٣ ، كذلك راجع مقال كارتر الذى سبق الإشارة إليه بعنوان «الوجه الجديد والمزعج لأمريكا» .

(٢) راجع قراءة نقدية لكتاب نوام تشومسكى وأدورد هيرمان بعنوان «صناعة الرأى العام والاقتصاد السياسى لوسائل الإعلام» لكاتب السطور ، مجلة السياسة الدولية العدد ١٠٢ ، أكتوبر ٩٠ .